Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

The Human Being and the Law of Attraction: Between Lordship and Servitude

Ali Al-Asadi
Assistant Professor of Jurisprudence and Islamic Knowledge, Al-Mustafa International University, Iraq.
E-mail: asadi.ali313.zyhoo@gmail.com

Abstract

The Law of Attraction, described here as one of the laws of the unconscious mind, is presented as a means of enabling human beings to access their own inherent capacities to independently bring about whatever they desire and intend. Such a conception may pose a serious threat to the intellectual foundations of human thought, particularly when human powers are regarded as self-sufficient and independent of any external assistance-namely, the power of the Creator. Taken to its logical conclusion, this claim may elevate the human being, a created and inherently dependent being, to a position of lordship, attributing to him the independent power to govern and alter the universe in opposition to its true Creator. Advocates of the Law of Attraction have sought to portray human beings as inherently capable of changing everything in their lives and bringing anything into existence through mere intention and purpose, or of attracting whatever they desire. On this view, the human being functions like a magnet, drawing toward himself whatever corresponds to his requests: "like attracts like"-good attracts good, and evil attracts evil. This study examines the Law of Attraction descriptively and analytically and argues that seeking to realize everything one desires through independent self-sufficient power is incompatible with the principles of monotheism and sound reason. Human beings do not possess an autonomous power to bring such things into existence independently. If, however, their realization is understood as occurring with divine permission and in a subordinate relation to the Creator's power, then such an account is possible and cannot be rejected; rather, it is fully consistent with the teachings of true religion and the principle of monotheism.

Keywords: Law of Attraction, lordship, servitude, subconscious mind, unconscious mind, consciousness.

Al-Daleel, 2026, Vol. 9, No. 33, PP. 156-188

Received: 19/06/2026 | Accepted: 15/07/2026 | published: 15/09/2026

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

© the author(s)

الدليل Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

الإنسان في قانون الجذب.. بين الربوبية والعبودية

علي الأسدي
أستاذ مساعد في قسم الفقه والمعارف الإسلامية، جامعة المصطفى العالمية، العراق.
البريد الإلكتروني: asadi.ali313.zyhoo@gmail.com

الخلاصة

يمثّل قانون الجذب ـ وهو أحد قوانين العقل اللاواعي ـ انطلاقةً نحو الوصول بالإنسان إلى موارد القدرة الذاتية على إيجاد كلّ ما يريده ويقصده استقلالًا، وهذا قد يشكّل خطرًا حقيقيًّا على الجوانب الفكرية للإنسان، خصوصًا لمن اعتقد بقدرات الإنسان الذاتية من دون الحاجة إلى المساعدة الخارجية (قدرة الخالق الحقيقي)؛ إذ يؤسّس هذا الادّعاء لمرحلة توصل هذا المخلوق الضعيف إلى مرحلة الربوبية، وجعله ذا قدرة على التصرّف في هذا الكون استقلالًا في قبال خالق الكون الحقيقي، وقد حاول أصحاب هذا القانون أن يصوّروا الإنسان على أنّه يستطيع ذاتًا تغيير كلّ شيء في حياته، وأن يوجد أيّ شيء بمجرّد القصد والنيّة أو يجتذب ما يريد، فهو يعمل كالمغناطيس يجتذب ما تشابه من طلبه في هذا الكون، "فالشبيه ينجذب إلى الشبيه" إن كان حسنًا فحسن، وإن كان سيّئًا فسيّئ، وقد حاولنا بحث هذا القانون بحثًا وصفيًّا وتحليليًّا؛ للوصول الى نتيجة مفادها أنّ الإنسان إذا أراد تحقيق كلّ مايقصده من باب الاستقلال والقدرة الذاتية، فذلك مخالف لمبادئ التوحيد ولا يرتضيه العقل السليم؛ لأنّ الإنسان ليس له القدرة الذاتية على إيجاد هذه الأشياء مستقلًّا، وأمّا إذا كان إيجادها على نحو الإذنية والطولية مع قدرة الخالق، فهذا ممكن ولا يكون مرفوضًا، بل هو من صميم الدين الحنيف وموافق للتوحيد.

الكلمات المفتاحية: قانون الجذب، الربوبية، العبودية، العقل الباطني، العقل اللاواعي، الشعور.

مجلّة الدليل، 2026، السنة 9، العدد 33، ص. 156 ـ 188
استلام: 2026/06/19 | القبول: 2026/07/15 | النشر: 2026/09/15
الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث
© المؤلّف

المقدّمة

رأى المفكّرون الغربيون الذين خاضوا في موضوع التنمية البشرية أو في غيرها أنّ قانون الجذب من أهمّ القوانين في العقل اللاواعي؛ إذ ذكروا لهذا العقل الكثير من القوانين التي يخضع لها، وقد جعلوا قانون الجذب قانونًا أساسيًّا يتحكم في كلّ القوانين الأخرى، وبفهمه يمكن فهم غيره من القوانين الأخرى، وقد أثبتوا لهذا القانون حقيقةً علميةً، وألبسوه لباس العلم والحقّ، ومفاده ومؤدّاه هو الاعتقاد بأنّ هذا العالم الخارجي ليس له وجودٌ مستقلٌّ، وإنّما أفكار الإنسان هي التي أوجدت عالمه وجميع الأشياء من حوله، فيعتقدون أنّ أفكار الإنسان هي التي ترسل إشاراتٍ على شكل موجات مغناطيسية توجد الأشياء وتجذب للإنسان شبيه ما يرسله من أفكار، ففي الحقيقة أنّ ما يراه الإنسان في واقعه هو انعكاس لهذه الأفكار، فالفكرة إذن تصبح حقيقةً ملموسةً، فلا يحتاج الإنسان لإيجاد الأشياء إلّا إلى التفكير والتركيز على ما يريد، وهذا يعني أنّ قانون الجذب قائم عندهم على فكرة ربوبية الإنسان، فهو ربٌّ في صورة جسد، وهو ما أكّدته روندا بايرن صاحبة كتاب "السرّ" في قولها: «إنّنا الخالقون لكوننا، وإنّ كلّ أمنيّة نريد خلقها ستتجلّى في حياتنا» [بايرن، السرّ، ص 21]. وقد نسوا أنّ الإنسان في حقيقته وأصله موجود مفتقر لأبسط الأشياء؛ ولذا أصبح هذا القانون مورد اختلاف عند من تعرّض لبحثه، خصوصًا المفكّرين الإسلاميين، سواء على نحو القبول أو الرفض؛ ولهذا حاولنا البحث فيه والإجابة عن عدّة أسئلة قد تطرح في المقام، وهي: هل قانون الجذب حقيقة أم خيال ووهم؟ وهل يمكن شرعنة هذا القانون من خلال الأدلّة التي ساقها بعضهم لتثبيت أنّ لهذا القانون جذورًا في الشريعة المقدّسة، وأنّها قد أقرّته وأكّدته أم لا؟ وهل يمكن أن يصبح الإنسان ربًّا وخالقًا لكلّ ما يريد، أم أنّه يبقى عبدًا ضعيفًا خاضعًا لقدرة الله تعالى، فهو ممحّض بالعبودية؟ فكلّ هذه الأسئلة سنجيب عنها في مقالتنا هذه، كما سنعنى بتقديم إجابة عن السؤالين المحوريين التاليين:

الأوّل: هل تتوافق مباني المفكّرين الغربيين مع النظرة الدينية التوحيدية التي ترى أنّ كلّ شيء يقوم به الإنسان ويوجده هو بتفضّل من الله تعالى؟

الثاني: هل تختلف نظرتهم في هذا القانون مع النظرة الدينية التوحيدية؟ إذ إنّهم يعتقدون أنّ قدرات الإنسان الذاتية هي العلّة التامّة في إيجاد الأشياء استقلالًا، وبذلك سوف تختلف مع النظرة الدينية التوحيدية جذريًّا؛ لأنّهم يعتقدون أنّ «الأصل في هذا الكون هو الطاقة،

وهي الـتي أوجـدت كلّ شيء، فـكلّ مـا في هـذا الكـون مـن مخلوقـات عبـارة عـن طاقـة» [انظر: الرشـيد، حركـة العـصر الجديـد، ص 459]. وإنّ «أصـل الاعتقـاد بفلسـفة الطاقـة الكونيـة ... يرتبـط ارتباطًـا كلّيًـا عندهـم بتصوّرهـم الفلسـفي للوجـود، وهـو في حقيقتـه تعبـير عندهـم عـن عقيـدة وحـدة الوجـود؛ إذ إنّ العالـم مـرّ وفقًـا لهـذه الفلسـفة بأطـوار متعـدّدة، فالطـور الأوّل متمثّـل في الوجـود الفوضـوي أو العـدم، ثـمّ تـولّد مـن العـدم أوّل شـكل مـن أشـكال الوجـود، وهـو مـا يعـرف بالطاقـة الكونيـة» [الرشـيد، التطبيقـات المعـاصرة لفلسـفة الاستشـفاء الشرقيـة.. دراسـة عقديـة، ص 196]. ويمكـن للإنسـان أن يتـصرّف في مجـالات الطاقـة ويغيّرهـا، فيوجـد نتيجـة هـذه التغيـيرات مـا يريـده ويقصـده، هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة ثانيـة تصريحهـم بإمكانيـة وصـول الإنسـان إلى مرحلـة الربوبيـة مـن خـلال قـواه الذاتيـة أو الطاقـة الكونيـة. «لقـد اتّضـح أنّ الشـعلة الجديـدة مـن الاهتمـام بهيرميـس كانـت مرتبطـةً بنشـاط إنسـاني مرحلـة النهضـة في إيطاليـا، الذيـن تناولـوا الإنسـان بوصفـه معيـارًا لـكلّ الأشـياء، والذيـن انطلقـوا مـن مسـألة أنّ الإنسـان يمكـن أن يصـل إلى درجـة الربوبيـة عـن طريـق قـواه الذاتيـة» [تشـيتفيريكوفا، دكتاتوريـة المسـتنيرين، ص 39]. وأيضًـا «يمكـن للإنسـان أن يحصـل على المفتـاح في "حجـر الفلاسـفة"، الذي يتيـح إدارة الأرواح، بمعـنى التحكـم بالطاقـات المخلوقـة أو بطاقـات القـوى الكونيـة كي يصـل الإنسـان إلى الحالـة الربوبيـة والخلـود» [المصـدر السـابق، ص 41]. وفي ضـوء هاتـين الجهتـين لا يمكـن أن تلتـقي النظرتـان (التوحيديـة وهـذه النظـرة) في هـذا الأمـر، وهـذا مـا دفـع مـروّجي قانـون الجـذب إلى الاعتقـاد بـأنّ هنالـك قانونًـا مشـابهًا لقانـون الجاذبية العامّ يحـكم أفـكار الإنـسان أيضًـا، وهـو أنّ تركـيز العقـل على الرغبـات يتسـبّب في تأثـير الطاقات المرسـلة من الدمـاغ عـلى الكـون، وبمـا أنّ الطاقـات المتشـابهة تجـذب بعضها، فيمكـن للإنسـان تحريك جميع الموجـودات في اتّجـاه تحقيـق رغباتـه. وعلى هـذا الاختـلاف سـوف نبـني بحثنـا ونناقشـهم في مبانيهـم الـتي يقولـون بهـا على وفـق هـذه النظـرة.

المبحث الأوّل: تعريف قانون الجذب وتداعياته

أوّلًا: القانون والجذب لغةً

1ـ القانون لغةً

الظاهـر أنّ كلمـة "القانـون" أجنبيـة عـن لغـة العـرب، وهـو مـا ذكـره جمـع مـن أهـل اللغـة، قـال الجوهـري والطريـحي وغيرهمـا: «القوانـين: الأصـول، الواحـد قانـون، وليـس بعـربي» [الجوهري، الصحاح، ج 6، ص 2185؛ الطريحي، مجمع البحرين، ج 6، ص 301]. ولهـذا يقـال إنّ كلمـة القانـون يرجـع أصلهـا إلى اللغـة اليونانيـة "Kanun" وبعدهـا دخلـت لاحقًـا إلى اللغـة العربيـة ـ ومعناهـا عندهـم العصـا المسـتقيمة أو الخـطّ المسـتقيم، وهـو تعبـير مجـازي للدلالـة على النظـام، أو القاعـدة أو المبـدإ أو الاسـتقامة في القواعـد القانونيـة. [انظـر: حسـنين، محمـد، الوجيـز في نظريـة القانـون، ص 7]

فعـلى هـذا يظهـر أنّ هـذه اللفظـة غريبـة، وليسـت لفظـةً عربيـةً، وإن اشـتهر تداولهـا مـن قبـل العـرب خصوصًـا في الآونـة الأخـيرة، ومـع هـذا القـول يظهـر قـول آخـر يميـل إلى أنّ لفظـة "القانـون" لهـا أصـل وجـذور عربيـة وليسـت غريبـةً عـن لغـة العـرب كمـا يـدّعى. [انظـر: البكـري، عبـد الباقـي، المدخـل لدراسـة القانـون والشريعـة الإسـلامية، ص 34]

2ـ الجذب لغةً

عـرّف علمـاء اللغـة الجـذب بتعريفـات عديـدة، ولكـن مؤدّاهـا ومعناهـا متقـارب إن لـم نقـل واحـد، فقـد قـال الفراهيـدي: «الجـذب مـدكّ الـشيء، ومنـه التجـاذب، وانجـذب بهـم سـير» [الفراهيـدي، العـين، ج 6، ص 96]. وفسّرهـا بعضهـم بقـوله: «الجـذب مـدكّ الـشيء إليـك، وهـو أعـمّ مـن أن يكـون الجـذب إلى جانبـك أو إلى الداخـل، يقـال إنّـه جـذب الرطوبـة إليـه وجـذب الحبـل إليـه» [المصطفـوي، التحقيـق في كلـمات القـرآن الكريـم، ج 1، ص 332]. وقـال ابـن فـارس في مقاييسـه: «الجـذب: الجيـم والذال والبـاء أصـل واحـد يـدلّ على بـتر الـشيء. يقـال جذبـت الـشيء أجذبـه جذبًـا» [ابـن زكريّـا، معجـم مقاييـس اللغـة، ج 1، ص 440].

ثانيًا: قانون الجذب اصطلاحًا

يعـدّ قانـون الجـذب مـن القوانـين المحـيّرة للعقـول؛ لأنّـه يتحـدّث عـن أمريـن يتحقّقـان في هـذا القانـون بحسـب المـدّعى، أوّلهمـا: أنّ هنالـك إيجـادًا للأشـياء مـن قبـل الإنسـان، وثانيهـا:

أنّ في هـذا الكـون أشـياء موجـودةً، ومـا على الإنسـان سـوى جذبهـا عـن طريـق قدراتـه الذاتيـة، فهـذا القانـون يصـف الإنسـان بأنّـه قـادر على صنـع نفسـه ومسـيرته وكلّ مـا يريـده. هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة ثانيـة تكمـن خطـورة هـذا القانـون في أنّـه يوصـل الإنسـان إلى مسـتوى الربوبيـة والمتـصرّف اسـتقلالًا في كلّ شيء ويوجـد مـا يحتاجـه في حياتـه، فبـين الأمريـن (الحـيرة والخطـورة) يكمـن اهتمـام المفكّريـن والعلمـاء ـ خصوصًـا عنـد الغربيـين منهـم ـ ببحـث هـذا القانـون في ضمـن قوانـين العقـل الـلاواعي، وإن كان التركـيز مـن قبلهـم كثـيرًا في البحـث عـن هـذا القانـون بالخصـوص؛ لذا فمـن الصحيـح أن نعـرف مـاذا يـراد بهـذا القانـون عنـد هـؤلاء المفكّريـن الغربيـين وغيرهـم، وسـنبدأ ببيـان معنـاه عنـد آرثـر تـوني (Arthur Tony) ومـن ثـمّ عنـد غـيره مـن المفكّريـن الآخريـن:

1ـ نصّ القانون عند آرثر توني

إنّ أيّ شيء نفكّـر فيـه سـوف ينجـذب إلينـا ومـن النـوع نفسـه، أي: أنّ العقـل يعمـل كالمغناطيـس. فـإن كنـت تفكّـر بـشيء إيجـابي فسـينجذب إليـك ومـن النـوع نفسـه، وكـذا لـو كنـت تفكّـر بـشيء سـلبي.

ويعـدّ هـذا القانـون مـن أخطـر القوانـين، فالطاقـة البشريـة لا تعـرف مسـافاتٍ ولا تعـرف أزمنـةً ولا أماكـن، فأنـت مثـلًا لـو فكّـرت في شـخصٍ مـا ولـو كان على بعـد آلاف الأميـال منـك، فـإنّ طاقتـك سـوف تصـل إليـه وترجـع إليـك ومـن النـوع نفسـه، كمـا لـو كنـت تذكـر شـخصًا مـا، فتفاجـأ بعـد قليـل برؤيتـه ومقابلته، وهـذا كثيرًا مـا يحصـل. [انظر: تـوني، قـوّة عقلـك الباطـن، ص 29]

2ـ قانون الجذب في كلمات المفكّرين الغربيين وغيرهم

لـم يقتـصر تعريـف قانـون الانجـذاب أو الجـذب على مـا ذكـره آرثـر تـوني في كتابـه "قـوّة عقلـك الباطـن"، بـل هنالـك الكثـير مـن المفكّريـن الغربيـين وغيرهـم قـد ذكـروا هـذا القانـون وبحثـوه، وتوسّـعوا في الكثـير مـن تفاصيلـه، بحيـث إنّ المطّلـع على كلماتهـم يقطـع بأنّهـم يحاولـون القـول إنّ العقـل الـلاواعي أصبـح في ضـوء هـذا القانـون المسـيّر للإنسـان، والبـاني لمسـتقبله، والمحـرّك للعالـم مـن حـوله، والجـاذب للخـير والـشرّ، وكلّ ذلـك منـوط بنيّـة الإنسـان نفسـه، فهمـا مـن يهيّـئ العالـم مـن حـوله ليصبـح تحـت إمـرة الإنسـان، وبالتـالي ينجـذب له كلّ شيء في هـذا الكـون إذا نـوى أو قصـد ذلـك؛ ولذا سـنحاول ذكـر بعـض كلمـات المفكّريـن ممّـن ذكـروا هـذا القانـون:

أ- قال روبرت أنطوني (Robert Anthony): «إنّ نيّتك أو قصدك يهيّئ العالم من حولك، ففي اتّجاه مقصدك تتهيّأ الأمور؛ لذلك من المهمّ أن تكون نيّتك أو هدفك واضحًا ومحدّدًا في أيّ موقف، فإذا كنت واضحًا ومحدّدًا بشكلٍ تامٍّ فيما يتعلّق بهدفك أو قصدك، فسوف تدعمك آلية نجاحك اللاشعورية في الوصول إلى ما تريد، فمعظم الناس يواجهون مشكلاتٍ في تحقيق نوعية الحياة التي يريدونها؛ لأنّهم لا يحدّدون بوضوح وجهتهم ولا يتخيّلون طبيعة حياتهم عندما يصلون إلى هدفهم» [أنتوني، ما وراء التفكير الإيجابي، ص 60]. وقال أيضًا: «أيّ شيء تتوقّع حدوثه يتحدّد من خلال أفكارك التي تعكف على التأمّل فيها، إضافةً إلى قوّة الانفعالات والعواطف التي تقف وراء تلك الأفكار» [المصدر السابق، ص 77].

وجدير بنا أن نكرّر حقيقة أنّ عقلنا الباطن لا يشكّك في صحّة المعلومات أو البيانات التي نزوّده بها، كلّ ما هنالك أنّه يقوم بمعالجتها ويجذب إلينا ما نعتقد أنّه صحيح وحقيقي ... فبمجرّد أن يقبل عقلك الباطن فكرةً معيّنةً، يمكنك أن تعتمد اعتمادًا كلّيًّا عليه؛ كي يأخذك إلى الهدف. فإذا نحن زوّدنا عقلنا الباطن بالنتيجة أو الهدف النهائي، فإنّه سيزوّدنا بالكيفية التي نصل بها إليه، فكّر في النتيجة النهائية بالنسبة للاحتمالات الحالية. ينبغي أن تراها بشكل واضح للغاية، بحيث تبدو واقعيةً لعقلك وجهازك العصبي، والهدف النهائي من التصريحات التأكيدية والتخيّل هو إثارة الشعور بأنّ الهدف تمّ تحقيقه بالفعل. [انظر: المصدر السابق]

ب- وأمّا صاحبة كتاب "السرّ" روندا بايرن (Rhonda Byrne) فقد قالت إنّ: «قانون الجذب هو قانون طبيعي، إنّه غير موجّه لشخص بعينه، ولا يفرّق بين الأمور الجيّدة والأمور السيّئة، إنّه يستقبل أفكارك ويعكسها إليك كخبرات حياة، ببساطة يمنحك قانون الجذب ما تفكّر فيه مهما يكن» [بايرن، السرّ، ص 13]. وقالت أيضًا إنّ: «سرّ الحياة الأعظم هو قانون الجذب، ينصّ قانون الجذب على أنّ الشبيه يجذب شبيهه، هكذا فكّر في فكرةٍ ما، فإنّك كذلك تجذب الأفكار الشبيهة إليك ... فللأفكار قوّة مغناطيسية، كما أنّ لها تردّدًا، وعندما تفكّر يتمّ إرسال تلك الأفكار إلى الكون، وتجذب إليها مغناطيسيًّا كلّ الأشياء الشبيهة التي على التردّد نفسه، كلّ شيء يرسل للخارج يعود إلى مصدره (إليك). إنّك مثل برج للبثّ ولكن برج بشري، تبثّ تردّدًا بأفكارك، إذا أردت أن تغيّر أيّ شيء في حياتك فلتغيّر التردّد بتغيير أفكارك. أفكارك الحالية تشكّل حياتك المستقبلية. ما تركّز عليه غالبًا أو تفكّر فيه سوف يظهر في حياتك. أفكارك تصير حقائق واقعةً» [بايرن، السرّ، ص 25].

جـ ـ ونقل عن مارسي شيموف (Marci Shimoff) قوله: «إذا كنت تشعر بشعور طيّب، فإنّك بذلك تصنع مستقبلًا يتوافق مع رغباتك. وإذا كنت تشعر بشعور سيّئ، فإنّك تصنع مستقبلًا يتعارض مع رغباتك، إنّ قانون الجذب يعمل في كلّ ثانية من يومك، كلّ شيء نفكّر فيه ونشعر به يصنع مستقبلنا، إذا كنت قلقًا أو خائفًا، فإنّك تجلب عندئذٍ المزيد من ذلك إلى حياتك طوال اليوم» [المصدر السابق، ص 32].

دـ ونقل عن جاك كانفيلد (Jack Canfield) أيضًا قوله: «إنّ مشاعرنا بمثابة آلة تزوّدنا بالتغذية الراجعة التي تخبرنا ما إذا كنّا على المسار الصحيح أم لا، تذكّر أنّ أفكارك هي السبب الأوّل لكلّ شيء؛ لذا فحين تسيطر عليك فكرة دائمة ومتكرّرة، فإنّها تنبعث على الفور نحو الكون، تعمد تلك الفكرة إلى ربط نفسها مغناطيسيًّا إلى تردّد شبيه، وفي غضون ثوانٍ ترسل قراءة ذلك التردّد رجوعًا إليك من خلال مشاعرك، بعبارة أخرى، مشاعرك هي المردود الذي يرسله لك الكون استجابةً لأفكارك؛ ليخبرك بالتردّد الذي تكون عليه في الوقت الحاضر، إنّ مشاعرك هي آلية المردود الخاصّ بالتردّد الذي أنت عليه» [المصدر السابق، ص 33].

هـ ـ وأمّا عن ليزا نيكولس (Lisa Nichols) فقد نقل عنها قولها: «إنّ أفكارك ومشاعرك تصنع حياتك، سوف يكون الأمر دائمًا على هذا النحو، هذا أمر لا شكّ فيه تمامًا مثل قانون الجاذبية الأرضية، فإنّ قانون الجذب لا يخطئ أبدًا، إنّك لا ترى غزلانًا تطير في الهواء؛ لأنّ قانون الجاذبية الأرضية قد أخطأ ونسي أن يطبّق الجاذبية الأرضية على الغزلان ذلك اليوم، وعلى المنوال نفسه، فليس هناك استثناءات لقانون الجذب، فإذا حدث لك شيءٌ ما، فلا بدّ أن تكون قد جذبته بفكرة مستديمة، إنّ قانون الجذب يتّسم بالدقّة» [المصدر السابق، ص 36].

زـ بينما يقول علي رضا أزمنديان: «عندما نتغيّر، ونقوم بشكلٍ واعٍ بمواءمة أنفسنا مع قوانين الطبيعة، يتغيّر كلّ شيء من أجلنا، وينحني الزمان والمكان وكلّ الخلق لإرادتنا، ويسخّرون كلّ الفرص الموجودة في العالم لتحقيق أهداف شخص يؤمن بما يريده بالفعل ... إنّ فكرةً إيجابيةً وجميلةً من شأنها أن تخلق عالمًا جديدًا في حياة المرء، وأيًّا كان ما نفكّر فيه نخلقه» [أزمنديان، فكّر في نفسك أنّك ناجح، ص 27 و28].

خلاصة كلمات المفكّرين في قانون الجذب

إنّ أقوال هؤلاء المفكّرين الغربيين جميعها تثبت بحقٍّ خطورة هذا القانون وتداعياته السلبية على مصير الإنسان الديني؛ ولذلك عبّر عنه آرثر توني بقوله: «ويعدّ هذا القانون من أخطر القوانين» [توني، قوّة عقلك الباطن، ص 29]. لا لكونه يتلاعب بمصير الإنسان فحسب، بل لأنّه يوصل الإنسان إلى مصافّ الألوهية ويجعله إلهًا في قبال إله الكون وخالقه، فهذا القانون إن بقي على تفسير هؤلاء المفكّرين، فإنّه يحمل في حقيقته تداعياتٍ سيّئةً كثيرةً سنتعرّض لها لاحقًا، وقبل ذلك علينا تلخيص أقوال المفكّرين المتقدّمة بعدّة نقاط:

1ـ أنّ نيّتك وقصدك هما مَن يتصرّف بالعالم من حولك، فيهيّئان لك كلّ شيء لتصل إلى ما تريد.

2ـ أنّك تستطيع أن تصنع حياتك ومستقبلك بما يتوافق مع رغباتك، وهذا الأمر لا يخطئ أبدًا.

3ـ أنّ أفكارك هي السبب الأوّل الموجد لكلّ شيء تريده، وهي دائمة على هذا النحو.

4ـ أنّ كلّ شيء مسخّر لك، وتستطيع أن تحقّق أهدافك، وأنّ كلّ ما تفكّر فيه أنت الذي تخلقه.

5ـ أنّ الذي تفكّر فيه سيعمل كالمغناطيس، ويبعث ذبذباتٍ يجذب إليه كلّ شيء يشبهه في هذا الكون، فإن فكّرت في الخير سيجذب لك كلّ شيء خيّر، وإن كان تفكيرك في الشرّ فسيجلب لك شبيهه.

ثالثًا: التداعيات السلبية لقانون الجذب من كلمات المفكّرين

فإن أردنا تحديد التداعيات السلبية لقانون الجذب من هذه الأقوال، فسنحدّدها بعدّة نقاط ـ وإن كان هنالك تداعيات أخرى غيرها ـ وهي:

أ ـ أنّ كلّ شيء تطلبه إنّما يتمّ من خلال أفكارك ونيّتك ولا شيء غيرهما، وهذا يعني أنّك تستطيع خلق ما تريد، وأنّ الله تعالى فوّض لك كلّ شيء، أو أنّ كلّ شيء في هذا الكون مخلوق، وما عليك إلّا جذبه بالقصد والنيّة الصادرة منك.

ب ـ أنّ استجابة الكون لطلباتك إنّما تتكرّر بتكرّر الطلب، أي بمعنى أنّ كلّ طلب هو مستقلٌّ عن الآخر، ولا يقف عند حدود معيّنة، ولا يكون تحقّق ذلك الطلب من باب الصدفة؛ لأنّها لا تكون أبديةً ولا تتكرّر، فكلّ ما في هذا الكون يقع في دائرة واحدة أو ما يسمّى بـ"الوحدة الوجودية".

جـ ـ أنّ كلّ فكرة تحضرها أو أمر تطلبه سيحدث تردّداتٍ تخرج من العقل إلى فضاء الكون، ثمّ ترجع إلى الشخص نفسه مع ما تحمله من تحقّق ما يريده، وهذا قد يؤدّي إلى مبدإ الفوضوية في التعامل مع ما هو موجود في هذا الكون.

المبحث الثاني: الردّ على تداعيات قانون الجذب

إنّ كلّ ما ذكرناه من تداعيات في قانون الجذب يشكّل سلسلةً من المفاسد الاعتقادية المخلّة بعقيدة الإنسان، بل وتظهر كفره وإلحاده، فهو يظهر أنّ نظام الكون خاضع لإرادة الإنسان، ويجري مع ما يتوافق ومقاصده ونيّاته؛ ولهذا يمكن القول إنّ خطورة هذا الأمر تكمن ههنا، وسنذكرها باختصار مع الإجابة عنها، وسنحاول ردّ هذه الأقوال والتداعيات كما يلي:

الأولى: أنّ من تداعيات هذا القانون الذهاب إلى القول بوحدة الوجود والموجود حقيقةً؛ لأنّهم يذهبون إلى أنّ كلّ ما هو موجود في هذا الكون عبارة عن مجالات الطاقة، وهي واحدة ومتّصلة. قال جون أساراف (John Assaraf): «إنّنا جميعًا متّصلون، نحن فقط لا نرى هذا، فلا يوجد شيء بالخارج وشيء بالداخل، كلّ شيء في الكون متّصل، إنّه مجال طاقة واحد ... إذا فكّرت بشأن قانون الجذب الآن، من ناحية كوننا جميعًا كيانًا واحدًا، فسوف ترى كماله المطلق» [بايرن، السرّ، ص 162]. ويقول ريتشارد بوكمينستر فولر (Richard Buckminster Fuller): «أنت حياة أبدية تكتشف ذاتها في صورتك، أنت كيان كوني، أنت صاحب قدرة مطلقة، حكمة ليس لها حدود، وذكاء لا نهائي، أنت تجسيد للمثالية والروعة، أنت صانع شخصيتك ومصيرك على هذا الكوكب» [المصدر السابق، ص 164]. وهذا ما دفع إلى القول بأنّ " شبيه الشيء منجذب إليه"، وهو يعني ميل النظائر إلى أشباهها، وهذه الفكرة وإن كانت في أصلها لا إشكال فيها، ولها جذور في الفكر الديني، وإلّا لما استحسنها العرف، ولكن يبقى الإشكال فيها من خلال توظيفها عقديًّا؛ إذ إنّ قول هؤلاء المفكّرين سوف يؤدّي في نهاية المطاف إلى

القول بـ "وحدة الوجود والموجود"؛ لأنّ كلّ ما في هذا الكون هو عبارة عن طاقة، فكلّ شيء هو طاقة ولا شيء غيرها، ومنح الإنسان صفة المؤثّر الأكبر والمركزي في مجالات الطاقة في هذا الكون، فيصبح المتصرّف الفعلي في هذا الكون هو الإنسان نفسه، وهو ما يظهر من لوازم كلامهم، وما الله تعالى إلّا مجرّد وسيلة لتلبية حاجات الإنسان وتطلّعاته! فالقانون إذن يقوم على نفي صفة المدبّرية في الخلق عن الله ﷻ، ويجعلها بيد الإنسان استقلالًا، فنحن نخلق ما نريد، وما نفكّر فيه يكون، وهو ما يتجلّى من قول صاحبة كتاب "السرّ": «إنّنا الخالقون لكوننا، وإنّ كلّ أمنيّة نريد خلقها ستتجلّى في حياتنا» [المصدر السابق، ص 21].

وفساد هذا القول واضح جدًّا؛ لأنّه ربط كلّ ما في هذا الكون بالطاقة، وأنّ الذي يحكمه هو مجالات الطاقة، وأنّ الكون عبارة عن طاقة منتظمة عليها مراقب، فيكفي تفكير الإنسان وقصده في تغيير نُظم هذه الطاقة، وبالتالي يتغيّر معها كلّ ما هو موجود، وقد يحصل وجود شيء جديد تبعًا لتصرّفات الإنسان، فكلّ شيء بيد الإنسان يتصرّف فيه كيف يشاء، وهذا القول ـ أعني وحدة الوجود والموجود حقيقة عندهم ـ يتصادم مع الشرائع والأديان السماوية كافّةً، مهما قام عليها الدليل والبرهان؛ لأنّه ينفي حقيقة الخلق لهذا الكون ويجعل الخلق والوجود منوطًا بالطاقة، فحينئذٍ لا يكون هنالك تمايز بين الربّ والمربوب، وبين الخالق والمخلوق، ولا يبقى معنى للشرائع والتكاليف، إلى آخر ما هنالك من المحاذير واللوازم الفاسدة. [انظر: كاشف الغطاء، الفردوس الأعلى، ص 216]

الثانية: الذهاب إلى القول بالتفويض، وهو ما يظهر من قول جيمس راي (James Arthur Ray): «كلّ تراث ديني يخبرك بأنّك خلقت في أحسن تقويم، وأنّ ... لديك تصريحًا إلهيًّا وقدرةً سماويةً لتصنع عالمك، وتصنع ذاتك» [بايرن، السرّ، ص 164]. وعلى هذا يكون الإنسان مستغنيًا ومستقلًّا في عمله وفعله عن الله ﷻ، وجعل الكون تحت تصرّف الإنسان هو شبيه ما ذهبت إليه المفوّضة، فهم وإن نزّهوا الله ﷻ عن الظلم، ولكن صوّروا له شريكًا في التصرّف والإيجاد؛ ولأجل ذلك قال الإمام الرضا عليه السلام: «أرادوا أن يصفوا الله ﷻ بعدله فأخرجوه من قدرته وسلطانه» [الحلّي، مختصر بصائر الدرجات، ج 1، ص 98].

الثالثة: أنّ هؤلاء المفكّرين حاولوا تصوير الدنيا على أنّها عبارة عن مجالات الطاقة ويستطيع كلّ شخص أن يغيّر هذه المجالات من خلال نيّته وقصده، أضف إلى أنّ النيّة والقصد يمكن أن يعتريهما التغيّر بين الفينة والأخرى، وبالتالي لا يبقى شيء ثابت في هذا

الكـون تبعًـا لهمـا. هـذا مـن جهـة، ومـن جهـة أخـرى أنّ النظـام الكـوني قائـم على المصلحـة والمفسـدة الـتي يعلمهـا مـن أوجـد هـذا النظـام، وهـو الله ﷻ العالـم بـكلّ شيء، كالطبيـب الذي يعلـم فائـدة الدواء للمريـض ومضرّتـه، فيصـف له النافـع دون الضـارّ. فمـن الممكـن أن يقصـد الإنسـان شـيئًا ظنًّـا منـه أنّ مصلحتـه فيـه، ولكنّـه في الحقيقـة للمـضرّة أقـرب، فـلا يبـقى أيّ تميـيز بـين مـا يكـون صالحًـا له، ومـا يـضرّه لجهلـه بآثـار الأشـياء، فـإذا كان المعيـار في وجـود الأشـياء هـو قصـد الإنسـان ونيّتـه، فسـيصبح الكـون سـاحةً فوضويـةً؛ لأنّـه سـيكون خاضعًـا لملذّات الإنسـان، وهـذه الملذّات نفسـها قائمـة على اعتبـارات الإنسـان نفسـه؛ لظنّـه أنّ مصلحتـه فيهـا، فيوجِـد منهـا مـا يريـد؛ لهـذا قـال نيـل دونـالد والـش (Neale Donald Walsch): «البهجـة والحـبّ والحرّيـة والسـعادة والضحـك، ذلـك هـو كلّ مـا يتطلّبـه الأمـر» [بايـرن، السرّ، ص 178]. وهـذا الأمـر قـد يتوافـق مـع النظـرة القرآنيـة للدنيـا كمـا في قـوله تعالى: ﴿**اعْلَمُـوا أَنَّمَـا الْحَيَـاةُ الدُّنْيَـا لَعِـبٌ وَلَهْـوٌ وَزِينَـةٌ وَتَفَاخُـرٌ بَيْنَكُـمْ وَتَكَاثُـرٌ فِي الْأَمْـوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾ [سـورة الحديـد: 20]. إلّا أنّـه كيـف يمكننـا جعـل هـذه الملذّات المؤقّتـة هي الدافـع والمحـرّك للإنسـان في تحصيـل الكمـالات على وفـق قانـون الجـذب، وهي الـتي تسـيّر الإنسـان وتخلـق له مسـيرته الدنيويـة، مـع أنّ الدنيـا على مقتـضى النظـرة الدينيـة هي مزرعـة الآخـرة، وهي وسـيلة لتحصيـل المقامـات العاليـة في عالـم الآخـرة، فيـتزوّد منهـا الإنسـان مراتـب الكمـال الأخـروي؛ لأنّهـا دار التكليـف.

ومـع هـذه المفاسـد المتقدّمـة الـتي ذكرناهـا والحاصلـة مـن قانـون الجـذب، هنالـك فاسـد آخـر وهـو أنّ كلّ مـا يحصـل للإنسـان مـن خـيرٍ أو شرٍّ ـ كمـا هـو عندهـم ـ إنّمـا يحصـل بإرادتـه وقصـده؛ لأنّ نيّـة الإنسـان وقصـده في ضـوء هـذا القانـون همـا مـن أوجـدا هـذا الفعـل ـ الخـير أو الـشرّ ـ وجلبـاه للقاصـد؛ لأنّ روّاد هـذا القانـون يزعمـون أنّ للإنسـان القـدرة على تغيـير قـدره مـن خـلال التفكـير الإيجـابي، وباسـتطاعته برمجـة الكـون ليكـون مسـخّرًا لتفكـيره ويتغـيّر بحسـب مـا يفكّـر فيـه، فهـو المتحكـم في القـدَر، فيوجـد كلّ مـا يريـد مـن خـلال تفكـيره، وهـذا القـول موافـق لقـول مَـن أنكـر القضـاء والقـدر، وزعـم أنّ كلّ مـا يقـع في هـذا الكـون لـم يكـن داخـلًا في القضـاء والقـدر، ولـم يسـبق بـه كتـاب ـ ولازمـه نـفي التقديـرات الإلهيـة، وهـو يعـني الجهـل على الله تعـالى في مـا يقـع في هـذا الكـون، وهـو منـافٍ لكونـه عالمًـا بـكلّ شيء، وسـيخرج هـؤلاء مـن سـلطانه وقدرتـه.

المبحث الثالث: حدود قانون الجذب ومساحته

من الأمور المهمّة التي لا بدّ من معرفتها هي ما مدى حدود قانون الجذب، وما المساحة التي يمكن أن يشغلها هذا القانون، خصوصًا أنّ هنالك الكثير من المفكّرين الغربيين وغيرهم قد اهتمّوا بالبحث عن هذا القانون، وتوسّعوا في جنباته بصورة مفرطة، واتّخذوه وسيلةً لتوسيع قدرة الإنسان على إدارة مطلق شؤونه في هذه الحياة؛ ولذا من الممكن أن نبيّن هذا المبحث في ثلاثة أمور هي:

أوّلًا: أينحصر قانون الجذب في الإنسان أم يشمل غيره من الموجودات؟

قد يقال إنّ قانون الجذب هو من القوانين المطلقة التي تشمل كلّ الموجودات التي على هذا الكوكب، كالإنسان والحيوان وقد يكون غيرهما أيضًا، ولكنّ الصحيح هو أنّ هذا القانون ـ إن قلنا بصحّته وقبوله ـ من القوانين التي تخصّ الإنسان حصرًا؛ فمن أدوات تفعيل هذا القانون الشعور الذاتي الذي يبنى على النيّة والقصد، وهما لا يحصلان إلّا من خلال التفكير الذي هو من مختصّات الإنسان وحده دون غيره من الموجودات الأخرى، وقد سبق وقلنا إنّ التحليل والتفكير خاضع للعقل الواعي، ومن ثمّ يخزن في العقل اللاواعي، ومن المعلوم أنّ الوعي الذاتي أو التفكير الإدراكي هو الخاصّية الرئيسية التي تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى، فالوعي الذاتي هو الذي يسمح للإنسان بالتفكير المنطقي وتأمّل ذاته، والتفكير هو القوّة التي تحوّل وعي كلّ إنسان إلى ذاته لمعرفتها وتحديد ما يعلمه عنها وما تعلمه هي عنه، والإنسان هو المخلوق الوحيد القادر على تكوين تفكيره بذاته، فالحيوان لا يمكنه التفكير في ذاته أو الوعي بذاته، فليس لديه القدرة على الدخول في هذا العالم من الواقع. وبسبب تلك الخاصّية التي ينفرد بها الإنسان (الوعي الذاتي)، علينا أن نتطرّق إلى القدرات الناتجة عن تلك الخاصّية مثل التفكير المجرّد والإدارة والإبداع والتخطيط المستقبلي، ويعدّ الوعي الذاتي كنز الإنسان الأعظم، فكلّما زاد ذلك الوعي استطاع الإنسان أن يصل إلى أعلى درجات الحياة، وعلى الرغم من ذلك، فإنّ ثقافتنا موجّهة نحو التقليل من مهارة الوعي الذاتي لدينا والحؤول دون إنمائه. [انظر: الفقي، قوّة العقل الباطن، ص 9]

بينما نجد أنّ «خواصّ الوعي لدى الحيوان تأخذ شكلًا من الأشكال يطلق عليه علماء الحيوان اسم "الغريزة"، والغريزة هي البرنامج الإلهي الذي خلقه الله بداخل الحيوان من أجل حفظ النوع والحفاظ على التوازن البيولوجي، فالذئب رغم قوّته كحيوان مفترس لا يستطيع

الاقتراب من قطيع الأغنام الذي يحرسه كلب هزيل، ما الذي جعله يخشى ذلك الكلب؟ وما الذي يمنح ذلك الكلب الشجاعة الكافية لمهاجمة ذلك الذئب؟ إنّها الغريزة، والغريزة هي التي تجعل البطّ البرّي يستشعر قدوم الشتاء، وهي التي تدفعه للهجرة لآلاف الأميال بحثًا عن الدفء، فالغريزة تعدّ المرشد الطبيعي للحيوان، ولكن لا يمكن أن يرتفع مستواها على ما هي عليه، فالحيوان مقيّد بما يعلمه فقط، ويتّبع دائمًا نفس الأفعال وبنفس الطريقة منذ وجوده على الأرض» [الفقي، قوّة العقل الباطن، ص 8]. وهذا ـ أعني أنّ التفكير هو ذاتي للإنسان ـ قد دفع الفيلسوف ديكارت إلى الاعتقاد بأنّه «قد وجد القاعدة الأقرب للحقيقة التي عبّر عنها بعبارته المشهورة "أنا أفكّر، فأنا موجود" وفي الحقيقة إنّه قد أعطى تعبيرًا لقاعدة هي الأكثر خطأً؛ لموازنة التفكير مع الوجود والمطابقة مع التفكير» [تول، قوّة الآن، الدليل إلى التنوير الروحي، ص 16]. وهذا في حقيقته من أفدح الأخطاء التي ارتكبها ديكارت أن جعل هنالك ربطًا بين الوجود والتفكير، وهذا يعني أنّ الذي لا يفكّر والمجنون لا يتحقّق وجودهما ـ إذا كان المقصود من الوجود هو التحقّق في الخارج ـ وهذا الكلام يدلّ على أنّ قانون الجذب مختصٌّ بالإنسان دون غيره.

ثانيًا: أينحصر تأثير قانون الجذب على الشخص نفسه أم يتعدّاه إلى غيره؟

إذا كانت نيّة الإنسان وقصده في جلب شيء أو دفعه لا لنفسه أو عنها، بل عن غيره، فهل يعمل هنا قانون الجذب أم لا؟ فهل يمكن لتأثير القاصد أن يتعدّى إلى غيره أو يقتصر على نفسه فقط؟ وهذا الأمر في حقيقته يتوقّف على القصد والتأثير، والكلام هنا تارةً في ضوء الرأي الإسلامي، وأخرى في ضوء آراء أصحاب هذه النظرية، فلو سلّمنا بهذا الأمر ـ جدلًا ـ فلا إشكال في حصول التأثير في الغير حسب النظرة الإسلامية، ولكن ليس كما يذهبون إليه بحسب طريقتهم، فحصوله إنّما يكون من باب استحباب الدعاء للغير، فإنّ الله تعالى يستجيب دعاء المؤمن لأخيه المؤمن، بل لأربعين مؤمنًا في آن واحد، وهو ما دلّت عليه الأخبار الكثيرة كما عن أبي عبد الله عليه السلام إذ قال: «مَن قدم أربعين رجلًا من إخوانه فدعا لهم، ثمّ دعا لنفسه استجيب له فيهم وفي نفسه» [الصدوق، الخصال، ص 537]. وأمّا على ما يتبنّاه هؤلاء المفكّرون الغربيون في هذا القانون فهو أنّ التأثير يقتصر على الشخص نفسه دون غيره، وهو ما يظهر من خلال كلماتهم التي ذكرناها في التعريف المتقدّم كما يظهر في قول ليزا نيكولس (Lisa Nichols): «إنّ أفكارك ومشاعرك تصنع حياتك، وسوف يكون الأمر

دائمًا على هذا النحو» [بايرن، السرّ، ص 36]. فقانون الجذب يصنع حياتك الخاصّة بك أنت لا حياة غيرك، وأمّا ريتشارد فولر فيقول: «أنت صانع شخصيتك ومصيرك على هذا الكوكب» [المصدر السابق، ص 164]. فالأمر إذن يتعلّق بك وبشخصيتك ولا علاقة له بالآخرين، ويقول آرثر توني: «إنّ أيّ شيء تفكّر به سوف ينجذب إليك ومن النوع نفسه» [توني، قوّة عقلك الباطن، ص 29]. والعبارة هنا صريحة في أنّ الشيء الذي تفكّر به سينجذب إليك لا إلى غيرك، وهذا يعني أنّ قانون الجذب ينحصر تأثيره بالشخص نفسه فقط؛ ولذلك يقول إيكهارت تول: «كلّما تعمّقت أكثر في عالم اللاعقل ـ كما يسمّى في الشرق أحيانًا ـ ستشعر بحضورك الذاتي النقيّ بقوّة وفرح لا مثيل لهما لكلّ ذلك التفكير، لكلّ العواطف والأحاسيس، لكلّ جسدك، كذلك الحال مع العالم الخارجي، سيصبح غير مهمٍّ نسبيًّا بالمقارنة معه، ومع ذلك هذه ليست أنانيةً، بل حالة من التخلّي عن النفس تأخذك لما وراء ما فكّرت فيه سابقًا بنفسك، ذلك الحضور في جوهره هو أنت وفي نفس الوقت أكبر وأعظم ممّا تتصوّره أنت» [تول، قوّة الآن.. الدليل إلى التنوير الروحي، ص 20]. وهو ما قد يشير إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «إن سَمَتْ همّتك لإصلاح الناس فابدأ بنفسك، فإنّ تعاطيك صلاح غيرك وأنت فاسد أكبر العيب» [الآمدي، غرر الحكم، ص 153]. فهذا إن قلنا بأنّه إصلاح فالأجدر بالإنسان أن يبدأ بنفسه أوّلًا ويصلحها قبل أن يصلح غيره. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلو افترضنا أنّ تأثير تفكيرك وقصدك كان موجّهًا إلى شخص آخر، فهنا سوف يحصل واحد من اثنين، إمّا أن يتّحد قصدك ونيّتك مع قصد ذلك الشخص ونيّته أو يتعارضا، فعلى الأوّل يكون الذي حقّق التأثير هو قصد ذلك الشخص ونيّته لا ما صدر منك، وعلى الثاني وهو التعارض باعتبار أنّ قانون الجذب قانونٌ عامٌّ ويشمل كلّ شخص، ويمكنه أن يجريه الغير بحقّه، ولم يكن القانون موجّهًا لشخص بعينه فتقول روندا بايرن إنّ: «قانون الجذب هو قانون طبيعي، إنّه غير موجّه لشخص بعينه، ولا يفرّق بين الأمور الجيّدة والأمور السيّئة، إنّه يستقبل أفكارك ويعكسها إليك كخبرات حياة» [بايرن، السرّ، ص 13]. فنكون في مشكلة عويصة، وهي أنّ قانون الجذب هل سيعمل لصالح الأوّل وهو صاحب القصد والنيّة أو يعمل لصالح الثاني وهو صاحب التأثير، فإن كان هذا القانون قد عمل للأوّل فهذا يعني أنّه لم يعمل للثاني، وإن استجاب للثاني فهو إذن لم ينجذب للأوّل، وهو ما سيفقد القانون عموميته، ولا يكون صالحًا لكلّ شخص، وهذا خلاف فرض كونه عامًّا وشاملًا لكلّ الناس، وإذا كان كذلك فإنّ هذا القانون سيسقط من أصله لتخصّصه ببعضٍ دون بعض، والنتيجة هي أنّ قانون الجذب هو قانون شخصي، أي أنّ صدوره وتأثيره يكون للشخص نفسه لا لغيره.

ثالثًا: أيتحدّد قانون الجذب في الممكنات أم يسع المحالات أيضًا؟

إذا تابعنا كلمات المفكّرين الغربيين ممّن يقول بهذا القانون لأمكننا استخلاص نتيجة مفادها أنّ كلّ ما يريده الإنسان من خلال قصده ونيّته سيتحقّق، سواء كان ممكنًا أم محالًا؛ لأنّ هذا القانون ليس له قواعد تلزمه، فهو تابع لما يطلبه الشخص نفسه، فلا حدود تحدّه ولا موانع تقف بوجهه؛ لذا تقول الكاتبة الأسترالية روندا بايرن: [إنّ كلّ ما تحقّقه إنّما] «يأتي أوّلًا من التفكير والشعور به في الداخل، عقلك هو القوّة الإبداعية لكلّ الأشياء ... إنّ قدرتك على التفكير غير محدودة، وبالتالي فإنّ الأشياء التي يمكنك إيجادها عن طريق التفكير غير محدودة كذلك. وهكذا هو الحال بالنسبة للجميع؛ فعندما تعلم هذا حقًّا، فإنّك بذلك تفكّر بعقل يعلم طبيعته التي لا تحدّها قيود ولا حدود» [المصدر السابق، ص 148].

وهو يتطابق أيضًا مع ما يقوله تشارلز هانيل (Charles Haanel): «ليس هناك حدود أمام ما يمكن لهذا القانون القيام به من أجلك، فلتجرؤ على تصديق نموذجك المثالي: فكّر فيه كما لو كان حقيقةً منجزةً بالفعل» [المصدر السابق، ص 169].

وقد أوعز هنري فورد (Henry Ford) ذلك إلى قيام قانون الجذب على مبادئ ثلاثة وهي: «المبدأ الأوّل هو أن تفكّر فيما تريد، والثاني أن تتوقّع حدوث ما تريد، والمبدأ الثالث هو أن تعتقد يقينًا بقدرتك على تحقيقه. اعتقد بقدرتك على تحقيق ما تريد وثق في أنّه سيتحقّق، وادفع الشكّ عنك بعيدًا، واعلم أنّ المستحيل هو ما تصنعه أنت، أنت من تضع حدودًا لما يمكن أن تحقّقه، إن قلت هذا الأمر صعب أن أحقّقه فسيكون صعبًا؛ لأنّك اعتقدت ذلك، وإن اعتبرته في إمكانك فسيكون كذلك، سواء اعتقدت بأنّك تستطيع فعل الشيء أو لا تستطيع في الحالتين، أنت محقٌّ. ثقتك في أنّك ستحقّق ما تريد هي ما تفجّر قوى الإبداع لديك» [الخولي، الجذب الفكري، ص 34]. وعلى هذا التوجّه يمكن القول إنّه حتّى المحالات من الممكن أن تكون داخلةً في حدود قانون الجذب، ولكنّ الكلام يقع في موردين الأوّل: أنّ المقصود من المحالات هو الممتنعات؛ لأنّ الممتنعات يمكن تقسيمها الى عدّة أقسام فهي: إمّا ممتنع عقلي أو ممتنع شرعي أوممتنع عرفي، فإن جاز قانون الجذب في الأمرين الأخيرين عند هؤلاء فهو لا يحصل أصلًا في الأمر الأوّل؛ ولذلك يعتقد بعضهم أنّ قانون الجذب إنّما يحصل في الممكنات لا الممتنعات حتّى لا تتعارض مع التخطيط الكوني المنتظم؛ لأنّ «علينا أن نتعلّم كيف نحدّد الاختيارات السليمة في حياتنا، والتي تتناسب

مع الخطّة الكونية العظمى؛ من أجل أن نقوم بما نحن بحاجة إليه، وأن ندرك حجم تلك القوّة الخلّاقة التي تتحكم في شخصية الإنسان، ونعلّم كيف أصبحت عقولنا أكثر تنظيمًا للأفكار، وكيف يمكن تغيير تلك الأفكار إذا كانت أفكارًا هدّامةً» [الفقي، قوّة العقل الباطن، ص 14]. والمورد الثاني أنّ المقصود من المحال هو عدم القدرة على الحصول عليه، فهذا هو لبّ كلامهم؛ إذ إنّ قانون الجذب سوف يفعل لك ما لم تستطعه؛ لذا يقول جيمس فان فليت (James Van Fleet) في هذا المقام: «عليك تزويد عقلك الباطن بهدف واحد حتّى تستغلّ كلّ إمكانياته؛ لذا ركّز على نقطة واحدة ولا تشتّت جهدك، وعندما تركّز على هدف واحد تزوّد به عقلك الباطن، فإنّك تحقّق ما تريد، بعد أن تركّز كلّ جهدك وطاقتك لتحقيقه ... عندما تحدّد هدفًا، فلا تخش طلب المحال؛ لأنّك قد تضطرّ إلى استخدام أهداف وسيطة كدرجات تصعد عليها لتصل إلى هدفك، وإيّاك أن تضع لنفسك أهدافًا قريبة المنال؛ لأنّ كلّ ما تتخيّله يمكن تحقيقه» [فان فليت، القوّة الخفيّة للعقل الباطن، ص 90 و91]. ولذلك لو «اعتقدنا أنّ حياتنا تحدّها حدود ضيّقة، فإنّ هذه الحدود ستصبح فجأةً أمرًا واقعًا. إنّ ما نؤمن بصحّته وبإمكانية حدوثه يتحوّل إلى ما هو واقع ممكن بالفعل ... وكثير من الناس يتمتّعون بالضعف، إلّا أنّه نتيجةً لمحدودية إيمانهم بما هم عليه وبما يمكن أن يقوموا به، فإنّهم لا يقومون مطلقًا بما يمكن أن يحوّل حلمهم إلى حقيقة واقعة» [روبينز، قدرات غير محدودة، ص 21]. ويقول فيرجيل (Virgil): «إنّ من يحقّقون شيئًا، يفعلون ذلك لإيمانهم بالقدرة على تحقيقه» [المصدر السابق، ص 78]. وأخيرًا فالذي يؤيّد هذا الكلام ما قاله بن جونسون (Ben Jonson): «إنّ كلّ شيء يوسّع نطاق القدرات الإنسانية، ويبيّن للإنسان أنّه يستطيع أن يفعل ما لم يكن يظنّه ممكنًا، شيء عظيم القيمة» [المصدر السابق، ص 388].

ويمكن تلخيص النتيجة النهائية من هذا المبحث فيما يلي:

1ـ أنّ قانون الجذب يشمل الإنسان دون غيره من الموجودات الأخرى؛ لأنّ هذا القانون متعلّق بالقصد والنيّة، وهما من لواحق التفكير، وهو من مختصّات الإنسان وحده دون غيره من الموجودات.

2ـ أنّ هذا القانون يختصّ بالشخص القاصد نفسه في التأثير، ولا يتحقّق تأثيره على الغير؛ لأنّه إمّا أن يتّحد قصد كلٍّ منهما ونيّته أو يتعارضان، فإن اتّفقا كان القانون منصرفًا إلى الشخص الثاني لا إلى الأوّل، وإن تعارضا فتأثير هذا القانون لا بدّ أن يكون مع أحدهما؛ فمع مَن سيكون إذن؟!

3ـ أنّ حدود هذا القانون تتعلّق بالممكنات وليس بالمحالات، ونقصد بالمحالات هنا المحالات العقلية، وإلّا فالمحالات الشرعية والعرفية داخلة في حدود قانون الجذب.

المبحث الرابع:

أدلّة قانون الجذب في القرآن والسنّة في نظر أصحابه والردّ عليها

لا يخلو قانون الجذب في أصل موضوعه من الجدل بين الناس، فبعضهم يعتقد أنّ قانون الجذب مجرّد خيال ووهم لا حقيقة له في المنهجية الدينية، ولا يمثّل سلوكًا موضوعًا لمسيرة الإنسان التكاملية، ولم يكن له مقبولية علمية أيضًا، بينما نجد آخرين يذهبون إلى الإيمان بأنّ قانون الجذب هو "قانون كوني"، وله حقيقة علمية ودينية وتاريخية، وأنّ محوريته هو الإنسان، ومع ذلك فهو لم يقتصر على المجتمع البشري في الوقت الحاضر، بل كان ساريًا في الأمم السابقة التي كانت تتعامل مع هذا القانون؛ وأنّ له جذورًا في الديانات السابقة كما يتوهّم بعضهم لما ورد في بعض النصوص الإنجيلية التي ظاهرها هو تأكيد وجود قانون الجذب، ومن هذه النصوص ما ورد في إنجيل متّى: «اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اطْلُبُوا تَجِدُوا. اقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ ۞ لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ» [إنجيل متّى: 7، 7 و8]. وكذا ما ورد في إنجيل مرقس: «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ، فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ، فَيَكُونَ لَكُمْ» [إنجيل مرقس: 11، 24]. وفي موضع آخر من إنجيل متّى: «قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ، وَلاَ يَكُونُ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَيْكُمْ» [إنجيل متّى: 17، 20]. فكلّ هذه النصوص الإنجيلية تتحدّث عن قانون الجذب كما يظهر منها، أي أنّه باستطاعة الإنسان أن يطلّب أيّ شيء فيعطى، وما من شيء إلّا ويمكنه تحصيله، فهل هذا الأمر هو من باب قانون الجذب الذي يدّعيه المفكّرون الغربيون، أم هو من باب آخر؟ وهذا ما سنبيّنه. وأمّا محوريته في المنهجية الإسلامية فهنالك عدّة أقوال منها: أنّه مهمل، أي أنّه غير محدّد الخصوصية في المنهج الإسلامي؛ لأنّه من الممكن أن يكون قانون الجذب موجودًا في الدين الإسلامي ومقبولًا فيه، ومن الممكن أيضًا أن يكون هذا القانون غير موجود، فهو ساكت في الحديث عنه، ومنها: من يذهب إلى أنّ الدين الإسلامي قد حدّد الرأي في هذا القانون، وهم في ذلك على اتّجاهين: الأوّل: من ذهب إلى رفضه جملةً وتفصيلًا خصوصًا مع جعل محورية هذا القانون هو الإنسان القادر على أن يوجد المحالات وأن يخلق

ما يريد، بحيث يوصلون الإنسان إلى مقام الألوهية، والثاني: من قبله وأقرّ بوجوده في ضمن النصوص القرآنية، ويمكن التعبير عنه بـ "الجذب القرآني"، ولكن ليس من منطلق ما حدّده المفكّرون الغربيون، وإنّما من منطلقٍ قرآنيٍّ وإسلاميٍّ مبنيٍّ على أحد الأمور التالية:

الأوّل: وهو حسن الظنّ بالله تعالى، فقد قال الله تعالى في الحديث القدسي المنقول في الحديث المرويّ عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «أحسن الظنّ بالله؛ فإنّ الله عزّ وجلّ قال: أنا عند ظنّ عبدي المؤمن بي، إن خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فشرًّا» [الكليني، الكافي، ج 2، ص 72].

والثاني: من باب التفاؤل، وهو ما روي عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قال: «تفاءلوا بالخير تجدوه» [الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 19، ص 80]، وأيضًا ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «تفأّل بالخير تنجح» [الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 199].

والثالث: من باب الرجاء، فقد ورد عن الإمام عليٍّ عليه السلام، قال: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو» [الصدوق، الأمالي، ص 244].

والرابع: من باب التمكين في الإيجاد لشدّة الطاعة، فقد ورد في الحديث القدسي عن الله تعالى قوله: «عبدي أطعني أجعلك مثلي: أنا حيٌّ لا أموت أجعلك حيًّا لا تموت، أنا غنيٌّ لا أفتقر أجعلك غنيًّا لا تفتقر، أنا مهما أشاء يكون أجعلك مهما تشاء يكون» [الحرّ العاملي، الجواهر السنية، ص 361].

والخامس: الاستجابة للدعاء فقد ورد في الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [سورة غافر: 60]. وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ [سورة البقرة: 186].

وكلّ ما سنذكره من آيات أو روايات يقال إنّها تتحدّث عن قانون الجذب لا يعدو أن يكون واحدًا من هذه الأمور الخمسة أو غيرها، وجميع هذه الأمور أقفال مفاتيحها بيد الله تعالى؛ ولهذا ارتأينا أن نذكر بعض الآيات والروايات التي يستشعر أنّها تدلّ على قانون الجذب:

أوّلًا: الآيات القرآنية

هنالك الكثير من الآيات القرآنية التي قد يُستَشعر منها ـ وبالنظرة الأولى ـ أنّها تتحدّث عن قانون الجذب الذي يمكن التعبير عنه بـ "قانون الجذب القرآني"، وهذه الآيات ظاهرها ذلك، ولكنّها كما قلنا لا تعدو عن كونها أحد الأمور الخمسة التي ذكرناها، ولبيان هذا الأمر لا بدّ من البحث في الآيات الكريمة لتوضيح حقيقتها:

الآية الأولى

قوله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا**﴾ [سورة النساء: 79].

الدلالة

إنّ قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ يدلّ وبوضوح على أنّ السيّئة منسوبة إلى الشخص نفسه، أي أنّ ما يصيب الإنسان من السيّئات فهي بسببه، وهو الذي اجتذبها إليه، ولولا ذاك لما أصابته.

الجواب

هنالك جوابان على هذه الآية المباركة أحدهما نقضي والآخر حلّي، أمّا الجواب النقضي فهو موجود في الآية نفسها، ففي صدر الآية نُسبت الإصابة بالحسنة إلى الله تعالى، ولم تُنسب إلى الشخص نفسه، مع أنّ قانون الجذب المدّعى لا يفرّق بين الأمرين، فكلاهما مقدوران للمجتذب.

وأمّا الجواب الحلّي، فالمقصود بالسيّئة هنا هي العقوبة التي ترصد للإنسان نتيجة أعماله السيّئة التي فعلها باختياره من دون أن يأمره الله بها، قال تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾ [سورة الشورى: 40]؛ فلذلك استحقّ عليها العقاب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّه لا يمكن أن تضاف الأعمال السيّئة أو الشرور إلى الله تعالى؛ لأنّه منزّه عنها بذاته؛ لكماله المطلق الذي يأبى ذلك، ويؤيّده ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لبّيك وسعديك، والخير في يديك، والشرّ ليس إليك» [الكليني، الكافي، ج 3، ص 310]؛ لذلك «كان الله أولى بحسنات العبد منه؛ لأنّ القوّة القاهرة المبدئية لا تمكن الوسائط في استقلال التأثير؛ ولهذا كان العبد أولى بسيّئاته من الله؛ لأنّ النقائص والشرور من لوازم الماهيات المتنزّلة في عالم التضادّ؛

ولذلك لا يسأل الله تعالى عمّا يفعل؛ لأنّ الغاية في فعله ﷻ غير زائدة على ذاته وعلمه بذاته... وإلّا لكان فقيرًا في حصول ما هو الأولى له إلى ذلك الشيء ... وأنّ الله قد نظّم أسباب معاشك ومعادك، وسهّل عليك سبيل الخير، وأوضح لك طريقي السعادة والشقاوة من غير جبر وضيق عليك، ولا منعٍ وصدٍّ منه إيّاك، فإن أطعت وسلكت سبيل الخير والسعادة فلك الأجر والثواب، ولله عليك الفضل والمنّة، وإن عصيت وسلكت سبيل الشقاوة فلزمك العذاب وتبعك الحساب والعقاب، وله عليك الحجّة والعتاب» [الفيض الكاشاني، الوافي، ج 1، ص 525]. فأين هذا الكلام من قانون الجذب المدّعى؟! وبالتالي فالآية بعيدة كلّ البعد عن مدّعاهم.

الآية الثانية

قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ [سورة يوسف: 87].

الدلالة

تعدّ قصّة نبيّ الله يوسف عليه السلام من القصص التي يتجلّى فيها قانون الجذب بوضوح، فالكثير من الأقوال التي صدرت من نبيّ الله يعقوب عليه السلام توحي بأنّ كلّ الذي حصل لولده يوسف كان في تقديراته، والقرآن يشير إلى ذلك في عدّة آيات منها:

1ـ قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾ [سورة يوسف: 13].

2ـ قوله تعالى: ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [سورة يوسف: 18].

3ـ قوله تعالى: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الكَافِرُونَ**﴾ [سورة يوسف: 87].

لو تأمّلنا في كلّ هذه الأقوال المذكورة التي كان صدورها في الأصل من يعقوب النبيّ عليه السلام، وهي قد تحقّقت جميعها، فهو إذن من جذب الشرّ لنفسه ولولده! فالأولى حصلت بمجيء أخوة يوسف وادّعائهم أنّ أخاهم قد أكله الذئب: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ**﴾. ثمّ طلب الصبر الجميل المتخلّل بين فقد يوسف ولقائه

فتحقّق له ذلك، وفي آخر المطاف طلب من أبنائه أن يبحثوا ويتحسّسوا عن يوسف وأخيه، وبالفعل قد وجدوهما معًا، وأمّا يوسف عليه السلام فقد تمنّى أن يدخل السجن فجذبه إليه وتحقّق له ذلك: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ [سورة يوسف: 33]. فكلّ هذا الأمور كانت بقصد المجتذب ونيّته وتحقّقت بالفعل!

الجواب

إنّ دعواهم بأنّ نبيّ الله يعقوب عليه السلام هو من جذب الشرّ لنفسه ولولده يوسف عليه السلام ليست بصحيحة لأمرين، الأوّل: أنّ هذه الدعوى هي قدح وتجرّؤ على مقام الأنبياء عليهم السلام، فمن غير الصحيح أنّ يعلم العقلاء بقانون الجذب وما يحمله من طاقة عجيبة ويجهله نبيّ الله يعقوب عليه السلام فيجرّ الشرّ لنفسه. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الذي يجذب شيئًا فهذا يعني أنّه يقصده ويرتضيه، وهو يعني أنّ يعقوب النبيّ حين قال هذا ـ على فرضه ـ فهو لا يريد ولا يفكّر ولا يتمنّى عودة يوسف إليه، فإن كان هذا صحيحًا فكيف يأسف على هذا الجذب المقصود منه؟ وهو ما صرّح به في الكثير من أقواله كما في قوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [سورة يوسف: 84]، ومن جهة ثالثة فالملاحظ في أقوال نبيّ الله يعقوب عليه السلام أنّه كان يربط جميع أفعاله بالله تعالى، كما في قوله جلّ جلاله: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾ [سورة يوسف: 18] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا**﴾ [سورة يوسف: 83]، وقوله: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [سورة يوسف: 86]، فكان يكفي أنّ يجلس نبيّ الله يعقوب عليه السلام معتمدًا على أفكاره وقصده في عودة ولده يوسف، وأن لا يحمّل أبناءه مشقّة السفر والبحث في الأرض لإيجاد أخيهم، معتمدًا على قانون الجذب!

الثاني: قد تقدّم سابقًا أنّ حدود هذا القانون في التأثير هو جذب الشخص لنفسه ولا يصحّ لغيره؛ لاحتمال التعارض بين الجذبين والقصدين عند الشخصين ـ نبيّ الله يعقوب ويوسف عليهما السلام ـ وما نراه هو أنّ كلّ ما يحصل من أمور كانت تتعلّق بيوسف عليه السلام وهذا لا يصحّ في ضوء مدّعاهم.

وأمّا قضيّة جذب يوسف في أمر دخوله السجن، فمعلوم أنّه كان مخيّرًا بين أمرين اثنين إمّا السجن ـ وهو مقترح أهل القصر عليه ـ وإمّا البقاء في القصر وتعرّضه لمضايقات

صاحبة القصر؛ فلهذا اختار السجن على البقاء في القصر، وذلك لقلّة المخاطر في قبال ما يواجهه في البقاء، فالعاقل يختار ما كان أقلّ خطورةً على ما فيه شدّته، وهذا ما توجّه إليه نبيّ الله يوسف عليه السلام، وأين هذا من قانون الجذب الذي يدّعيه أصحابه؟!

ثانيًا: الروايات الشريفة

لم تختلف الروايات عن الآيات في بيان قانون الجذب ـ كما يُعتقد ـ لورود الكثير منها وهي تتحدّث عن قدرة الإنسان في تحقيق ما يريد تحقيقه، ولكن هذا التحقيق ليس بقدرة الإنسان الذاتية كما يدّعى، وإنّما هو بمشيئة غيرية أقدر، وهي المشيئة الإلهية التي نؤمن بها؛ لذا فكلّ ما يتصوّر من أنّ هذه الروايات جاءت لشرعنة قانون الجذب الكوني الذي يعتقد به علماء الغرب ليس صحيحًا، وإنّما هي من باب الرحمة الإلهية التي أرادها الله تعالى لعبادة، وهو ما سيظهر لك من خلال عرض الروايات ومناقشتها:

الرواية الأولى

عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر قال: «قال أبو الحسن الرضا عليه السلام قال الله: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء» [الكليني، الكافي، ج 1، ص 152].

الدلالة

إنّ قول الله تعالى في هذا الحديث "كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء" واضح في أنّ العبد هو وحده هو من يحقّق ما يريد تحقيقه، فمشيئته ستكون نافذةً فيما يطلب، وهذا لبّ قانون الجذب الكوني الذي يقول به مفكّرو الغرب، فكلّ ما يريده يتحقّق ولا يقف أيّ عائق أمام تحقيقه سوى مشيئة الإنسان نفسه، فنيّته وإرادته هما اللذان يحقّقان مطلبه، فتكون لهذه الرواية دلالة واضحة على قانون الجذب.

الجواب

إنّ هذه الرواية لم تتحدّث عن خلق الأشياء أصلًا، وليست هي بصدد بيان قانون الجذب الكوني ـ كما يدّعى ـ بل هي بصدد بيان أنّ المشيئة الإلهية هي التي جعلت الإنسان ذا إرادة واختيار، فهو مختار في أفعاله وأعماله، فنفت عنه الجبر في جميعها، وقد تتوافق في حقيقتها مع مصداق قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾ [سورة الإنسان: 30]. خصوصًا

إذا نظرنا إلى ما قبل هذه العبارة في الرواية في قوله الله تعالى: "يا ابن آدم بمشيئتي" وكذلك من قوله تعالى بعدها: "وبقوّتي أدّيت فرائضي، وبنعمتي قويت على معصيتي، جعلتك سميعًا بصيرًا قويًّا" فكلّ هذه المنح التي منحها الله تعالى للإنسان ما كانت إلّا بمشيئته تعالى، ولولاها لما استطاع الإنسان أن يقوم بشيء قطّ، فكيف يدّعى أنّ للإنسان القدرة الذاتية على إيجاد الأشياء وخلقها، وهذا المورد إن أردنا إرجاعه فيمكن أن يدخل في الأمر الرابع من الأمور التي ذكرناها.

الرواية الثانية

ما ورد عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «فكأنّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأنّ ما هو كائن من الآخرة عمّا قليل لم يزل، وكلّ معدود منقضٍ، وكلّ متوقّع آتٍ، وكلّ آتٍ قريب دانٍ» [نهج البلاغة، الخطبة 103].

الدلالة

إنّ قول الإمام عليه السلام: "وكلّ متوقّع آتٍ، وكلّ آتٍ قريب دانٍ" يدلّ وبوضوح على أنّ كلّ إنسان إذا ما توقّع شيئًا وقصده فإنّه يتحقّق ويحصل، فكأنّ هذا الحديث يبيّن أنّك تستطيع أن توجد كلّ شيء بمجرّد توقّعك وقصدك له، وهذا هو المطلوب في قانون الجذب الكوني، فيكون كلام الإمام عليه السلام متّفقًا تمامًا مع هذا القانون.

الجواب

حتّى لو سلّمنا بصحّة هذه الرواية، فلا علاقة لها بقانون الجذب المدّعى؛ وذلك لأنّ الفأل والتفكير الإيجابي أمر مطلوب في الدين، فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله كان يحبّ الفأل ويحثّ عليه، وطلب من الناس أن لا يقعوا في اليأس والقنوط. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ تفسير الفأل ليس بالمعنى الذي يعنونه هم، بل إنّ معناه شيء آخر، وهو ما حدّده النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ. قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ» [البخاري، صحيح البخاري، ج 5، ص 2178]. ثمّ إنّه إذ أردنا أن نحدّد ما ورد في هذا الباب من الأحاديث فيمكن القول إنّه قد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «تفأّل بالخير تنجح» [الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 199]. فالتفاؤل والرجاء هو العنوان البارز الذي يتّبعه المؤمن

وينتهجه في مسيرته التكاملية، ويشير إلى ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإنّ موسى بن عمران عليه السلام خرج يقتبس لأهله نارًا، فكلّمه الله جل جلاله فرجع نبيًّا، وخرجت ملكة سبإٍ فأسلمت مع سليمان عليه السلام، وخرج سحرة فرعون يطلبون العزّة لفرعون فرجعوا مؤمنين» [الصدوق، الأمالي، ص 244]. ولا شكّ في أنّ سبب التفاؤل والرجاء بما عند الله تعالى هو إيمان الإنسان بالله تعالى؛ فالمؤمنون ديدنهم أن يطلبوا من الله سبحانه وتعالى ويرجوه دون غيره؛ لعلمهم بعجز الجميع أمام قهر الله تعالى وقدرته؛ ولذلك يخاطبهم القرآن الكريم في أحلك الشدائد وأقساها قائلًا: ﴿**وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ**﴾ [سورة النساء: 104]. فتوقّع المؤمنين في أوقات الشدّة أمورًا لا يتوقّعها غيرهم أصلًا، أضف إلى ذلك أنّ الدائرة التي يؤمن بها المؤمن أوسع بكثير من دائرة غيرهم؛ فهم يؤمنون بالقوانين المادّية والغيبية معًا، في حين أنّ غير المؤمنين لا يؤمنون إلّا بالقوانين المادّية، وهي عاجزة عن حلّ الكثير من المشاكل التي تواجه الناس، والتي لا تجد لها جوابًا إلّا في المجالات الغيبية، وقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام في أنّه: «لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتٍ وَتُرِكَ فِيهِ مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُه؟ فَقَالَ عليه السلام: مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ» [نهج البلاغة، الحكمة 356]. منطلقين من قوله تعالى: ﴿**سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [سورة الطلاق: 7].

المبحث الخامس: ربوبية الإنسان في قانون الجذب وتداعياتها

إنّ الذي يتتبّع كلمات أصحاب هذا القانون يجد وبوضوح أنّهم يميلون الى الذهاب بالإنسان إلى مقام الربوبية، والمتصرّف في هذا الكون، ويرتقون به من مقامات الاحتياج والفقر إلى مقامات الغنى والقدرة المطلقة في مجالات التصرّف الذاتية، وما تقدّم من تصريح في أقوالهم السابقة يؤكّد هذا الأمر، ويؤكّده قول تشيتفيريكوفا (Olga Nikolaevna Chetverikova): «إنّ الإنسان يمكن أن يصل إلى درجة الربوبية عن طريق قواه الذاتية» [تشيتفيريكوفا، دكتاتورية المستنيرين، ص 39]. وقالت أيضًا إنّه يمكن «التحكّم بالطاقات المخلوقة أو بطاقات القوى الكونية كي يصل الإنسان إلى الحالة الربوبية والخلود» [المصدر السابق، ص 41]. بينما نجد أنّ ليزا نيكولس كانت تقول: «إنّ أفكارك ومشاعرك تصنع حياتك، سوف يكون الأمر دائمًا على هذا النحو، هذا أمر لا شكّ فيه تمامًا مثل قانون الجاذبية الأرضية، فإنّ قانون الجذب لا يخطئ أبدًا... فإذا حدث لك شيءٌ ما، فلا بدّ أن تكون قد جذبته بفكرة مستديمة. إنّ قانون الجذب يتّسم بالدقّة» [بايرن، السرّ، ص 36].

ويقول مايكل بيرنارد بيكويت (Michael Bernard Beckwith) واصفًا قدرة الإنسان على تغيير كلّ شيء بقوله «إنّك تمتلك القدرة على تغيير أيّ شيء؛ ذلك لأنّه لا أحد سواك يختار لك أفكارك، أو يحسّ بدلًا منك بمشاعرك» [المصدر السابق].

وأمّا فولر فيصف الإنسان بأنّه صاحب القدرة المطلقة فيقول: «أنت حياة أبدية تكتشف ذاتها في صورتك، أنت كيان كوني، أنت صاحب قدرة مطلقة، حكمة ليس لها حدود، وذكاء لا نهائي، أنت تجسيد للمثالية والروعة، أنت صانع شخصيتك ومصيرك على هذا الكوكب» [المصدر السابق، ص 164].

فكلّ هذه الأقوال والتعبيرات وغيرها من روّاد هذا القانون تنمّ عن كونهم يذهبون إلى وصف الإنسان بكونه هو المتصرّف في هذا الكون، وأنّه ذو قدرة على خلق كلّ شيء بأفكاره، وعلى تغيير واقعه بحسب إرادته وقصده، فقانون الجذب الذي افتتن به الشباب والذي يؤدّي إلى تعظيم ذات الإنسان وقدراته وإقناعه بعظمة نفسه واستحقاقه لكلّ شيء، وأنّ كلّ ما يريده يحصل عليه لا من جهة سعيه وما يقوم به من عمل، وإنّما لما يتمتّع به هذا الموجود من قدرات، وبالرغم من كونه موجودًا ضعيفًا في الظاهر، ولكن يعدّونه سيّد الكون والمتصرّف فيه، فهم يعتقدون أنّ في داخل المؤمن بهذا القانون قوّةً كامنةً هي التي تحرّك العالم من حوله، ومعه لا حدود لإمكانيات الإنسان وقدراته، فقدرته مطلقة وحكمته لا حدود لها، فهم بهذا القانون يجعلون للإنسان قدرة الربّ المقتدر ـ وهو الله تعالى ـ في تدبير العالم، وهذا ما لايقبله كلّ ذي عقل سليم، ولكنّنا نعلم أنّ الذهاب إلى هذا القول ـ وهو ربوبية الإنسان كيفما كان ـ يستلزم مجموعةً من التداعيات الخطرة التي تجعل الإنسان في مصافّ الربّ الحقيقي ـ إن لم يقولوا إنّه الربّ الوحيد ـ ومن هذه التداعيات التي ترافق هذا القانون ما يلي:

أوّلًا: أنّ القول بقانون الجذب سوف يؤدّي إلى الشرك بالله تعالى، وبالتالي سينعكس على اعتقاد الناس والذهاب بهم إلى القدح في ربوبية الله ﷻ وألوهيته، وسيسقط المؤمن بهذا القانون من موارد المغفرة الإلهية: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾ [سورة النساء: 48].

ثانيًا: أنّ الاعتقاد بصحّة هذا القانون ـ خصوصًا إذا أوجدوا له مسوغاتٍ شرعيةً من نصوص يعتقدون بدلالتها عليه ـ سيذهب بالإنسان الى إدخال ما ليس من الدين في الدين،

وهـذا قـد يكـون مـن بـاب الابتـداع في الديـن؛ إذ إنّ أسـلمة هـذا القانـون وإنـزال النصـوص الشرعيـة عليـه وليّ أعناقهـا والاسـتدلال بهـا على غـير مـا جـاءت بـه سـيكون قـولًا على الله بغـير علـم، وهـو مـا نهـت عنـه الشريعـة: ﴿وَلَا تَقْـفُ مَـا لَيْـسَ لَـكَ بِـهِ عِلْـمٌ﴾ [سورة الإسراء: 36]، مـع أنّ هـذا القانـون قـد أنكـره حـتّى علمـاء الفيزيـاء ووصفـوه بأنّـه خرافـة، وكلام فـارغ، وهـراء كـمّي، وزيـف علـمي، وثرثـرة نفسـية روحيـة، وخيـال طفـولي، وانتصـار للدجـل. إنّ اتّبـاع خطـوات هـذا المنهـج سـوف تبعـد الإنسـان عـن الديـن، وتوقعـه في براثـن الـشرك أو الإلحـاد.

[انظـر: العجـيري، خرافـة الـسرّ، ص 70 ومـا بعدهـا]

ثالثًـا: مـن التداعيـات الـتي يمكـن أن تصاحـب الاعتقـاد بهـذا القانـون الميـل إلى تقديـس الإنسـان لنفسـه وذاتـه؛ لأنّـه بحسـب هـذا القانـون يكـون الإنسـان هـو المتحكـم في واقعـه والمسـيطر على أفـكاره، وبالتـالي لا يكـون هنالـك حاجـة إلى وجـود خالـق ومدبّـر غـير الإنسـان، فمـا يُـرده يوجـده، وكلّ مـا عليـه هـو أن يسـعى إلى تحقيـق ذاتـه وملذّاتـه، وهـذه قمّـة الولـوج المفـرط بالمادّيـة الغربيـة، والابتعـاد عـن الله ﷻ وعـن الإيمـان بـه وبأحكامـه.

رابعًـا: مـن المخاطـر الـتي قـد يسـبّبها الاعتقـاد بهـذا القانـون هـو تسرّب الخرافـة والجهـل إلى المجتمعـات، وخصوصًـا الإسـلامية منهـا؛ لأنّ هـذا القانـون في حقيقتـه مـا هـو إلّا خرافـة وجهـل؛ إذ ليـس له واقعيـة كمـا يعتقـدون، فتقبّلـه مـن قبـل المجتمعـات الإسـلامية سـيؤدّي إلى ابتعادهـم عـن الإيمـان الحقيـقي ومخالفتهـم للنظـرة التوحيديـة الصحيحـة. وكلّ مـا في الأمـر أنّ الغربيـين قـد ركّـزوا عليـه لحاجتهـم إليـه؛ ليتوافـق مـع مـا يتبنّونـه مـن اعتقـادات، ولانغماسـهم بالمادّيـات ونفيهـم لمـاوراء الطبيعـة. وتبـنّي المسـلمين لهـذا القانـون وبحسـب النظـرة الغربيـة سـيؤدّي إلى الانقطـاع عـن الاعتقـاد الديـني الصحيـح والالـتزام بخرافـة الغـرب والإعجـاب بمـا يتبنّونـه لمـا يرونـه مـن تطـوّر حاصـل عندهـم، ولكـنّ كلّ هـذا التقـدّم المعـرفي والتقـني لا يمكنـه أن يغـني شـيئًا. كمـا أنّ الشـيوع في الغـرب بحـدّ ذاتـه غـير كافٍ للاسـتدلال على صحّـة شيءٍ مـا؛ وذلـك لشـيوع المادّيـة عندهـم، ممّـا سـبّب لهـم فـراغًا معرفيًّـا كبـيرًا وانقطـاعًا عـن الاعتقـاد بمـا وراء المـادّة، وذلـك ينعكـس على نمـط حياتهـم الخـالي مـن كلّ الالتزامـات الدينيـة؛ ومحاولـةً ـ بظنّهـم ـ للسـيطرة على الكـون عـن طريـق وضـع قوانـين تتمـاشى مـع معتقداتهـم الفاسـدة الـتي يـرون أنّهـا سـتتحكم بالكـون!

خامسًا: أنّ انتشار مثل هذه القوانين سوف يدعو الناس إلى الكسل وترك العمل، وذلك من خلال الاعتماد على الأماني والاتّكال على الأحلام، والعيش في عالم غير واقعي لا يمتّ إلى الحقيقة بصلة؛ لأنّ هذا القانون في حقيقته وأصله كان فيلمًا سينمائيًّا! وهو ما دفع الكثير من منتجي الأفلام والروايات إلى جعله مادّةً لمجموعاتهم كما تشير إليه صاحبة كتاب "السرّ" في المقدّمة.

سادسًا: أنّ الانشغال بمثل هذه القوانين الوهمية سيدفع المسلمين إلى الإعراض عمّا ينفعهم سواء في دنياهم أو أخراهم، وعدم الانصياع إلى ما تأمر به الشريعة، والهرولة خلف منجزات وهمية لا تغني ولا تشبع من جوع، وكلّ ذلك سيكون على حساب تعلّمهم لأمور أخرى تقوم عليها منافعهم، والأدهى من ذلك أنّ هذا القانون سوف يبرّر الظلم بكلّ أنواعه، فالتاجر الجشع سوف يحصل على المال من غير كدٍّ ولا تعبٍ، بل بمجرّد التفكير فيه وعلى حساب الآخرين، والفقير يستحقّ فقره؛ لأنّه فكّر في الفقر ولم يفكّر في الثراء، والغنيّ لا يلتزم أخلاقيًّا تجاه الفقير بأيّ التزام، بل اللازم عليه أن لا يفكّر فيه ويتجاهله حتّى لا يجلب له الفقر، والقاتل والمقتول لا يلزم محاسبة أحدهما وإنصاف الآخر؛ لأنّهما من جلبا لأنفسهما هذا الفعل، وهذه كلّها مبرّرات واهية لا تصمد أمام العقل والنقل، ولا ترتضيها الأخلاق.

المبحث السادس: الإنسان متمحّض بالعبودية وليس ربًّا!

إنّ الإيمان بالقضاء والقدر الإلهي في المنهجية الإسلامية يعدّ ركنًا أساسيًّا من أركان الإيمان، فلا يمكن لأيّ مؤمن أن ينكر ذلك، وجميع المسلمين يؤمنون بأنّ كلّ ما يحدث في هذا الكون خاضع لمشيئة الله ﷻ وقضائه، ويدار بقدرته تعالى، وأنّ كلّ مصائر البشر، بل كلّ شيء في هذا الكون مقدّر في علم الله ﷻ ومكتوب منذ الأزل، ولكنّ هذا لا يعني أبدًا أنّه يتعارض مع العمل الجادّ من قبل الإنسان، والسعي لتحقيق الأهداف، فكلّ ذلك موضوع في سياق التوكّل على الله والثقة بقدرته، فالتوكّل على الله يعني الاعتماد عليه في كلّ الأمور، مع بذل الجهد والسعي لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان، يقول ﷻ: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [سورة الطلاق: 3]. أضف إلى ذلك أنّ الإنسان موجود مفتقر لكلّ شيء، فهو مفتقر في وجوده وفي بقائه إلى خالقه؛ لأنّه موجود ممكن في ذاته، ومع هذا القانون المدّعى سيتحوّل الإنسان إلى غنيٍّ بالذات ومتصرّف في هذا

الكـون اسـتقلالًا، وهـذا خلـف، وقـد حُقِّـق ذلـك في الكتـب الكلاميـة. ومـن هنـا يظهـر أنّ كلّ مـا تقـدّم مـن كلام يبـيّن أنّ قانـون الجـذب لـم يكـن له واقعيـة في حيـاة الإنسـان كمـا يتصـوّره أصحابـه، وأنّ مـا يحصـل عليـه الإنسـان مجـرّد عطـاء مـن الله ﷻ، فهـو غيـض مـن فيـض كرمـه سـبحانه، ولا يمكـن للإنسـان أن يخلـق أضعـف المخلوقـات، فضـلًا عـن عظيمهـا، فكيـف يـدّعي أنّـه قـادر على خلـق كلّ شيء؟! وهـو مـا نفـاه الله ﷻ بقـوله تعـالى: ﴿**إِنَّ الَّذِيـنَ تَدْعُـونَ مِـنْ دُونِ اللهِ لَـنْ يَخْلُقُـوا ذُبَابًـا وَلَـوْ اجْتَمَعُـوا لَهُ وَإِنْ يَسْـلُبْهُمُ الذُّبَـابُ شَـيْئًا لا يَسْـتَنقِذُوهُ مِنْـهُ ضَعُـفَ الطَّالِـبُ وَالْمَطْلُـوبُ**﴾ [سـورة الحـجّ: 73]. وهـو تعـالى القائـل: ﴿**أَمْ جَعَلُـوا لِلّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُـوا كَخَلْقِـهِ فَتَشَـابَهَ الْخَلْـقُ عَلَيْهِـمْ قُـلِ اللهُ خَالِـقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُـوَ الْوَاحِـدُ الْقَهَّـارُ**﴾ [سـورة الرعـد: 16]، وقـوله تعـالى: ﴿**وَلَا يَمْلِكُـونَ لِأَنْفُسِـهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًـا وَلَا يَمْلِكُـونَ مَوْتًـا وَلَا حَيَـاةً وَلَا نُشُـورًا**﴾ [سـورة الفرقـان: 3]. وقـد نفـاه أيضًـا بعـض الأنبيـاء عليهم السلام عن أنفسـهم كمـا في قـوله تعـالى: ﴿**وَإِذْ قَـالَ اللهُ يَـا عِيـسَى ابْنَ مَرْيَـمَ أَأَنـتَ قُلْـتَ لِلنَّـاسِ اتَّخِـذُونِي وَأُمِّي إِلَهَـيْنِ مِـنْ دُونِ اللهِ قَـالَ سُـبْحَانَكَ مَـا يَكُـونُ لِي أَنْ أَقُـولَ مَـا لَيْـسَ لِي بِحَـقٍّ**﴾ [سـورة المائـدة: 116]. فالألوهيـة والربوبيـة حـقٌّ منحـصرٌ بـالله تعـالى، ولا يصـحّ لأحـدٍ أن يـدّعي ذلـك لنفسـه، وقـد اشـتبه على هـؤلاء أنّ تحقّـق مـا يريـده الإنسـان ويطلبـه هـو بقـدرة الإنسـان نفسـه، غافلـين عـن أنّ كلّ مـا يحصـل عليـه الإنسـان مـا هـو إلّا مـدد مـن الله، ويتحقّـق بأحـد الأمـور الخمسـة الـتي تقـدّم ذكرهـا سـابقًا، وممّـا يؤكّـد عجـز الإنسـان وعـدم قدرتـه على شيء إلّا بـإذن مـن الله تعـالى مـا ورد عـن الإمـام جعفـر بـن محمّـد الصـادق عليه السلام إذ قـال: «ولا كلّ مـن رغـب فيـه يقـدر عليـه، ولا كلّ مـن يقـدر عليـه يـؤذن له فيـه، فـإذا مـنّ الله على العبـد جمـع له الرغبـة في المعـروف، والقـدرة والإذن» [القـاضي المغـربي، دعائـم الإسـلام، ج 2، ص 321]. فـلا يمكـن للإنسـان أن ينقطـع عـن الله تعـالى وعـن مـدده لحظـةً واحـدةً، وإلّا لانعـدم ذلـك المخلـوق الضعيـف؛ لعلّـة الفقـر والاحتيـاج، قـال تعـالى: ﴿**يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ أَنْتُـمُ الْفُقَـرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُـوَ الْغَـنِيُّ الْحَمِيـدُ**﴾ [سـورة فاطـر: 15]. فالإنسـان إذن متعلّـق بـالله تعـالى تعلّـق الفقـير بالغـنيّ، والضعيـف بالقـويّ، والجاهـل بالعالـم، وليسـت دعـوى هـؤلاء بـأنّ الإنسـان هـو ربٌّ بذاتـه إلّا افـتراءً ووهمًـا مـن الخيـال.

الخاتمة

1ـ يعدّ قانون الجذب من القوانين المحيّرة والخطرة بالنسبة للإنسان؛ لأنّه يوصل الإنسان إلى مستوى الربوبية والتصرّف في هذا الكون.

2ـ أنّ علماء الغرب قد ذكروا أنّ نيّتك وقصدك يهيّئان العالم من حولك، وهذا في حقيقته لا يكفي في إيجاد الأشياء، وإن حصلت فهي تفضّل من الله ﷻ.

3ـ هنالك الكثير من التداعيات السلبية لهذا القانون؛ إذ تشكّل سلسلةً من المفاسد الاعتقادية التي تخلّ بعقيدة الإنسان، وتظهر كفره وإلحاده، منها القول بوحدة الوجود والموجود حقيقةً، أو القول بالتفويض، إضافةً إلى أنّهم حاولوا تصوير الدنيا على أنّها ساحة قائمة على ملذّات وهمية يوجدها الإنسان ليخرجها عن الغاية والهدف.

4ـ أنّ حدود هذا القانون تشمل الإنسان دون غيره من الموجودات الأخرى، أضف إلى أنّ تأثيره يختصّ بالمجتذب فيما يريده لنفسه لا لغيره من الأشخاص الآخرين.

5ـ أنّ قانون الجذب إنّما يتعلّق بالممكنات وليس بالمحالات، ونقصد بالمحالات هنا المحالات العقلية، وإلّا فإنّ المحالات الشرعية والعرفية تدخل في هذا القانون.

6ـ أنّ جميع ما قد يستدلّ به على شرعنة هذا القانون من القرآن والسنّة غير تامٍّ ومدفوعٌ بما ذكرناه، بل هو خارج وبعيد كلّ البعد عن هذا القانون.

7ـ أنّ أصحاب هذا القانون حاولوا الوصول بالإنسان إلى مراتب الربوبية، فهم يعدّونه سيّد الكون والمتصرّف فيه؛ ولهذا القول تداعيات ومفاسد كثيرة، ولكن يبقى الإنسان ممحّضًا بالعبودية ولا يمكنه الانفكاك عنها، فهو عبد لله وليس إلهًا.

قائمة المصادر

القرآن الكريم

نهج البلاغة

العهد الجديد (الإنجيل)

آرثر، توني، قوّة عقلك الباطن، ترجمة فريق من المترجمين، مراجعة وتصحيح: حمزة عبد الصمد، الناشر: مكتبة الهلال، القاهرة، ط 2، 2010 م.

آل كاشف الغطاء، محمدحسين، الفردوس الأعلى، تحقيق: محمدعلي القاضي الطباطبائي، الناشر: مكتبة فيروز آبادي، قم، ط 3، 1402 هـ.

أزمنديان، علي رضا، فكّر في نفسك على أنّك ناجح، الترجمة والنشر: مكتبة جرير، السعودية، ط 1، 2011 م.

أنتوني، روبرت، ما وراء التفكير الإيجابي، الترجمة والنشر: مكتبة جرير، السعودية، ط 1، 2005 م.

ابن زكريّا، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، 1404 هـ.

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: دار ابن كثير، بيروت، ط 3، 1407 هـ.

البكري، عبد الباقي، المدخل لدراسة القانون والشريعة الإسلامية، الناشر: مطبعة الآداب، بغداد، 1972 م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة، تحقيق:أحمد عبد الغفور العطار، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط 4، 1407 هـ.

الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، الجواهر السنية، الناشر: مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1384 هـ.

الخولي، سعد، الجذب الفكري، الناشر: دار بنت الزيّات للنشر والتوزيع، الجيزة، ط 1، 2017 م.

الرشيد، هيفاء بنت ناصر، التطبيقات المعاصرة لفلسفة الاستشفاء الشرقية.. دراسة عقدية، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدّة، ط 1، 1437 هـ.

الرشيد، هيفاء بنت ناصر، حركة العصر الجديد.. مفهومها ونشاطها وتطبيقاتها، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدّة، ط 2، 1436 هـ.

الصدوق، محمد بن علي، الأمالي، نشر وتحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، قم، ط 1، 1417 هـ.

الصدوق، محمد بن علي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم، 1403 هـ.

الطباطبائي، محمدحسين، الميزان في تفسير القرآن، الناشر: مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط 1، 1417 هـ.

الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، الناشر: ناصر خسرو، طهران، ط 2، 1362 هـ. ش.

العجيري، عبد الله بن صالح، خرافة السرّ، الناشر: المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، السعودية، ط 1، 2022 م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي ـ الدكتور إبراهيم السامرائي، الناشر: مؤسّسة دار الهجرة، قم، ط 2، 1409 هـ.

الفقي، إبراهيم، قوّة العقل الباطن، الناشر: دار ثمرات للنشر والتوزيع، ط 1، 2011 م.

الفيض الكاشاني، محمدمحسن، الوافي، تحقيق: ضياء الدين الحسيني "العلّامة" الأصفهاني، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام العامّة، أصفهان، ط 1، 1406 هـ.

القاضي المغربي، أبو حنيفة النعمان، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف، القاهرة، 1963 م.

الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ط 5، 1363 هـ. ش.

الليثي الواسطي، عليّ بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، الناشر: دار الحديث، قم، ط 1، 1376 هـ. ش.

بايرن، روندا، السرّ، الترجمة والنشر: مكتبة جرير، السعودية، ط 1، 2008 م.

تول، إيكهارت، قوّة الآن.. الدليل إلى التنوير الروحي، ترجمة: مؤيد يوسف حداد، الناشر: دار علاء الدين للنشر، دمشق، ط 1، 2009 م.

حسنين، محمد، الوجيز في نظرية القانون، الناشر: المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م.

روبينز، أنتوني، قدرات غير محدودة، ترجمة ونشر: مكتبة جرير، السعودية، ط 1، 2001م.

سبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، الناشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ط 1، 1419 هـ.

فان فليت، جيمس، ك. القوّة الخفيّة للعقل الباطن، الناشر: مكتبة جرير، السعودية، ط 3، 2008 م.